كلمة سيادة المطران جي بولس نجيم في عيد الميلاد ٢٠١١

إلى إخوتي الكهنة والشمامسة وكلّ خدمة كنائسنا من أعضاء في لجان الأوقاف وأبناء وبنات رعايانا.

أفاض الله الآن عليكم غزير نِعَمِه التي استحقَّها لنا ابنَه سيّدنا المسيح يسوع الذي أرسَلَهُ إلينا فصارَ منّا بقوّة الروح القدس. ولتكُن السنة الجديدة لكم ولعيالِكُم مُفعمَة بالبركات بشفاعة أُمّنا العذراء مريم ومار يوسف والطوباويّين المسابكيّين وجميع القدّيسين.

إننا نواجه حاليًّا، نحن المسيحيين، أخطاراً كثيرة ومتنوّعة، رُبّما أهمّها، طغيان الروح الدنيويّة على احتفالاتنا الدينيّة، من أسرار كسرّ المعموديّة والزواج والقربانة الأولى، أو من أعياد كأعياد شفيع أو شفيعة الرعية. ننسى أحياناً أنّ معنى هذه الأسرار وهذه الأعياد في الأساس روحيّ وليس زينة البيوت أو الكنائس ولا كثرة المشاركين ولا حتى جمال الألحان. ولميلاد يسوع المسيح في هذا الإطار أبعاد إيمانيّة واسعة الأفق وواقعيّة.

نُرَدِّد عن حقّ أنّ عيد الميلاد هو عيد السلام والفرح والعطاء وذلك، بناءً على نشيد الملائكة كما نقله إلينا الإنجيلي لوقا: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر"؛ وبناءً أيضاً على أنّ ولادة يسوع المسيح ترمز إلى كُلّ المولودين وبنوع خاص إلى المُعوَزين من بينهم إذ إنّ ربّنا ومعلِّمنا كان من مصافهم طول أيام حياته.

فعندما حان الوقت لتلده، لم تكن أمّ يسوع في منزلها مُحاطة بأهلها، بل على الطريق.

وعندما ولدته، ما وَضَعَتْه في سرير مُزيّن للمناسبة، بل في معلف للحيوانات.

وعندما أُخبِر الرعاة بما بشّرهم به الملائكة وبعدما أتى الماجوس بهداياهم، لم تَدُم الفرحة كثيراً وهرب به مريم ويوسف إلى مصر، بلد الغربة، لأن كان من يريد قتله.

وعندما عادوا إلى أرض وطنه، ما دخلوا بيتَ لحم مدينة أجداده بل سكنوا الناصرة التي قيل فيها: "أَمِن الناصرة يخرج شيء صالح" (يو ٤٦/١).

وعندما، في الثلاثين من عمره، انطلق للتبشير، لم يتنقل على الطرقات الوعرة، راكباً فرساً أو عربة، بل سيراً على الأقدام كعامّة الناس.

وأخيراً، عندما أتت ساعته لم يَمُت في غُرفَتِه مُحاطاً بِمُحِبّيه بل على الصليب منبوذاً من الناس ومتروكاً وصارِخاً كخاطئٍ بين الخاطئين: "إلهي إلهي لماذا تركتني" (مر ٣٤/١٥).

رُبَّ سائلٍ: "هل التكلّم عن أوجاع ربّنا وموته مُلائماً لهذا العيد، عيد الفرح بامتياز؟" ما كنت لأفعل لو لم تكن كنيستنا المارونيّة هي البادئة كونُها لم تعرض علينا في قدّاساتنا، ولأكثر من ثلاثة أسابيع، ما عدا أيام الآحاد، أي إنجيل يشير إلى ميلاد المسيح، بل تُخبرنا عن المواجهات التي حصلت بينه وبين أخصامه والتي أدّت إلى قتله.

وبهذا، يدفعنا أجدادُنا مُنظّمو طُقوسِنا التقويّة، إلى أن نتحاشى تجزئة الربّ فلا ننسى عندما نحتفل بولادته أنّه هو نفسه الذي خلَّصَنا بصليبه، وأنّ الذي مات مُعلّقاً على خشبة هو نفسه الذي وُضع في معلف وقام منتصراً من بين الأموات.

لذا، فرحة الميلاد لنا، نحن المؤمنين بالمسيح يسوع والمُحبّين له، ليست فرحةً تتجاهل آلامَه وموتَه وانتصارَه. وكما أن صليبَهُ كان حاضراً في فقر مزوده وذلّه، كذلكَ لتكونَ أعيادُنا بما فيها أعياد الميلاد، لا بل حياتُنا وتصرّفاتُنا ومساكنُنا وأثوابُنا مُتَّسِمَةً، أقلَّه بروح البساطة وشيءٍ من التجرّد كي لا نُصبِح نحن في قاطع وإلهُنا في قاطع. وإن فرضت علينا مسؤولياتُنا الاجتماعيّة أن نتمتّع بشيءٍ من الرفهيّة، فلنتذكّر أمانةً لِتَلمَذَتِنا للمسيح هذه الكلمة لمار افرام في الصوم: "إن لم تستطع أن تصوم، فاجعل الصوم حاضراً على مائدتِكَ". كذلك "إن لم تَستَطِع أن تَعيشَ التجرُّد فليَبقى وجه يسوع الفَقير حاضِراً في كُلِّ لحظةٍ من حياتِكَ".

لجنة الاعلام في نيابة صربا البطريركية المارونية